انتشار اللغة العربية بفضل: قوة الإسلام السياسية والدينية

للدكتور ابراهيم عبد الرحمن محمد

الاستاذ بقسم اللغة العربية
(جامعة الكويت)

ليس هناك من شك فى أن ظهور الاسلام وانتشاره كانت له **آثار كبيرة على انتشار اللغة العربية خارج** الجزيرة ـ هذه حقيقة تاريخية ولغوية ، فقد كانت هناك ، قبل الاسلام ، أمم مختلفة تجاور الامة العربية ، وكانت هذه الامم تتكلم لغات مختلفة . ولم نسمع عن تأثر هذه اللغات باللغة العربية قبل ظهور الاسلام على الرغم من الاتصال المستمر الذي كان موجودا بين هذه الامم عن طريق التجارة وطريق الامارات العربية على حدود الجزيرة . فلما انتشر الاسلام خارج الجزيرة ، حدث ما يعرف فى علم اللغات **بالصراع اللغوي** ، ونعني به **هذا الصراع الذي ينشب عادة بين لغة الشعب المنتصر ولغة الشعب المهزوم** . وهو صراع حتمي ، ونتيجته دائما فى صف الفاتحين ، ولم يحدث فى تاريخ الصراع اللغوي الطويل الذي صاحب هذه الحروب المستمرة منذ نشأة البشرية حتى اليوم ان تغلبت لغة الشعب المنهزم على لغة الشعب المنتصر ، ولكن حدث ان احتفظت لغة المنهزمين بقوتها فى حالتين :

الاولى : عندما غزا الرومان القدماء اثينا القديمة ، ودمروا استقلالها ، ولكن هذه الهزيمة قد صاحبها انتصار ، او قل قد عوضها نصر ادبي ، فقد تأثر الادب الروماني بالادب اليوناني تأثرا واسعا ..

والثاني ، عندما احتلت فرنسا وبريطانيا بعض الاقطار العربية ، وقبلهما عندما فتحت تركيا العالم الاسلامي جميعه ، فعلى الرغم من الهزيمة التي نزلت بالامة العربية ، فى ذلك الوقت واستمرار هذا الاحتلال لفترة طويلة ، **فان اللغة العربية ظلت صامدة** ، ولم تستطع لغة الفاتحين أن تقضي عليها .

وهذا كله يقودنا الى تقرير حقيقة مهمة ، هي ان **اللغة العربية تستمد قدرتها على البقاء من قوة الشعب** الذي يتكلمها ، سواء اكانت هذه القوة سياسية أم دينية . وهذه الحقيقة بدورها تقودنا الى حقيقة اخرى اشد خطرا وابعد اثرا ، هي ان **انتشار اللغة العربية** خارج الجزيرة كان **نتيجة لتلك القوة السياسية والدينية التي اصابها العرب بفضل ظهور الاسلام .** واذا رحنا نبحث هذه القضية فى ضوء ظروف العصر الحديث ، اتضح لنا أن القوة السياسية والقوة الدينية لم تعودا ، كما كانتا فى القديم من الاسباب التي يمكن ان يعزى اليها انتشار لغة شعب من الشعوب على نحو ما حدث للغة العربية عند ما انتشرت فى فارس ومصر والشام . وانما صار العامل الفعال في انتشار اية لغة وسيادتها ، مرتبطا بقدرة هذه اللغة على السمو بأدبها ، وقدرة هذا الادب على اشباع عواطف القراء عن طريق ما يكتب بها من روائع الادب بأجناسه المختلفة : الشعر والمسرح والقصة . ولكن لا ينبغي ان نهول من قيمة هذا العامل الثقافي فى انتشار اللغات ، فقد انتشرت الترجمة ، وارتقت وسائل الاعلام ، كالاذاعة والتليفزيون والسينما والصحافة .... بحيث اصبح من الممكن الاستغناء بهذه الوسائل للتعرف على الثقافات الاجنبية من غير حاجة الى قراءتها فى اصولها اللغوية .

ونستطيع ان نقرر ، قياسا على ما تقدم ، أن الدين الاسلامي قد ساعد ، فى العصور القديمة ، على انتشار اللغة العربية ، ولكن **لاينبغي ان نتوقع ان يكون له دور مستقر فى انتشار هذه اللغة فى العصر الحديث،** فقد اغنت عن هذا الدور وسائل الاعلام الحديثة ، وانتشار الترجمة المتخصصة ، كما ان ادبنا العربي الحديث لا يزال فى طريق التطور ، وهو يتأثر بالآداب الاجنبية الراقية اكثر مما يؤثر فيها .